

## قضايا

تركز معظم المشاريع والبرامج الحالية في قطاع غزة على مقاربات إنسانية، لكنها لم تعد تسمح بتوفير الحد الأدنى من مقومات الصمود. فضلا عما تشهده هذه الأيام من معاناة المانحين من إعياء مالي شديد، وضغط اقتصادي داخلي، الأمر الذي أدّى إلى تدني حجم الدعم الخارجي للآزمات التي يعاني منها القطاع

## الواقع والتحديات تحت عنوان الرابطة الإنسانية والتنمية والسلام

# الاستجابة لأزمات قطاع غزة

وديع محمود المرابيد



يخضع قطاع غزة للاحتلال الإسرائيلي المباشر منذ عام 1967، ومنذ عام 2005، أدت إسرائيل الانسحاب منه، لكنها ما تزال قوة احتلال وفقاً للقانون الدولي. ومنذ 2006، فرضت إسرائيل حصاراً خانقاً عليه، أدى مع ما تزامن معه من عدوان عسكري ومنهج ومنظم إلى تدمير الاقتصاد، وتفتيت سبل عيش السكان ووسائل الإنتاج. وتستمر انعكاسات هذا الحصار والعدوان المستمر في إلحاق أضرار إنسانية وجسدية ونفسية على السكان بشكل غير مسبوق. تقصد إسرائيل من هذه السياسات التحكم في النشاط اليومي للسكان وإشغالهم في هموم الحياة اليومية بحثاً عن أسباب الرزق والعيش والحياة وسط أزمة إنسانية خانقة وبنية تحتية لم تعد تمتلك القدرة على الإنعاش، بهدف شل قدرتهم على الصمود والمقاومة. أدت هذه الأوضاع بمنظمات أممية عديدة، أبرزها الأمم المتحدة إلى التحذير بأن استمرار سياسات الاحتلال بهذا الأسلوب المنافي للإنسانية يحول القطاع لمنطقة غير قابلة للحياة بحلول العام 2020. يتجاوز عدد سكان قطاع غزة الآن مليوني نسمة، ويتحكم الاحتلال في أسلوب حياتهم اليومي ضمن نظام رقابة محكم وواسع النطاق، بات يُعرف بأنه أول «سجن مفتوح في العالم».

والحال هذه، سيما مع استمرار الانقسام السياسي الفلسطيني، وغياب استراتيجيات وطنية موحدة لمقاومة الحصار، تنادي منظمات إنسانية وتنموية عديدة باتباع آليات شاملة ومكاملة للاستجابة للآزمات الناتجة عن الصراع طويل الأمد، ومن أبرزها نهج الرابطة الثلاثية (Triple Nexus) أو نهج الإنسانية والتنمية والسلام (HDPNx)، والتي تعني الربط بين الإغاثة والتنمية وبناء السلام. وهناك إقبال من بعض الفاعلين الدوليين، والمانحين، لدفع المنظمات الإنسانية في قطاع غزة إلى العمل ضمن هذا النهج، إلا أن طرحه في السياق الفلسطيني عموماً يثير بعض الإشكالات (نذكرها لاحقاً). وقبل استكشاف بعض التحديات التي تواجه تطبيق نهج الرابطة الثلاثية في قطاع غزة حالة دراسية، نشير إلى أن هذه الورقة يمكن أن تفيد صنّاع القرار، فيما يتعلق بالرابطة الثلاثية، وحول مدى قابلية تنفيذ برامج تتخذ من الرابطة الثلاثية منهجاً للعمل في قطاع غزة.

### الأوضاع الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية

مع صعود حركة حماس إلى السلطة في قطاع غزة بين 10 و15 يونيو/ حزيران 2007 أعلن الاحتلال الإسرائيلي حصاره الكامل على القطاع، والذي أحبط سنوات من النشاط الإنساني والتنموي في منطقة جرى تجريدها عن عمد من كل مقومات التنمية والأزدهار الاقتصادي والمؤسساتي وطوال العقود المنصرمة، نشطت أطراف فاعلة عديدة من الدول والمنظمات الدولية والإقليمية، لتقديم المساعدات الخارجية للفلسطينيين، وتوّعت نماذج الاستجابة للآزمات الناتجة عن الاحتلال، وذلك مع ما رافقها من خلل في آليات الإدارة داخل المؤسسات الحكومية الفلسطينية. على الرغم من أن الواقع الإنساني كان سيئاً في غزة قبل الحصار، إلا أن دخول الحصار حين التنفيذ بشكل كامل أدى إلى تفاقم حالة التدهور للأوضاع الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية للسكان بنسبة تتراوح ثلاثة أضعاف على الأقل عما كان عليه الحال قبل الحصار. حالياً، يعيش السكان في غزة تحت نظام واسع من العقوبات المفروضة، بما في ذلك عزل القطاع عن النظام المالي الدولي والإقليمي، ما أدى إلى تدمير وسائل التنمية المحلية، وزيادة التعرض للانتكاسات المتعلقة بالمناخ، ونقصان المياه الصالحة للشرب، وخلل في مصادر الطاقة.

وإسلام الاحتلال الإسرائيلي على ما وصلت إليه الأوضاع الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعب الفلسطيني، نظراً إلى سياساته الاستعمارية الرامية إلى تجريد الشعب الفلسطيني من موارده وأرضه وحقوقه، والتي حوّلت قطاع غزة إلى منطقة تفتقر إلى كل مقومات الصمود وإعادة البناء. ونظرة إلى الواقع هناك تعد شاهداً حياً على ذلك، إذ وصل معدّل البطالة مع نهاية العام 2022 إلى حوالي 47%، بينما وصل المعدّل إلى 75% بين الشباب تحت سن 29 عاماً. هذا إضافة إلى اعتماد حوالي ثلثي عدد السكان على المعونة الإنسانية. قبل أن تنفذ إسرائيل سياسة العزل على غزة بلغ معدّل البطالة حوالي 18-19% عام 2000، وحوالي 34% عام 2006 وفقاً لما ذكرته منظمات أممية عديدة. جعلت هذه الأوضاع السكّان عرضة للانزلاق إلى خط الفقر، وترافق مع الهشاشة الاقتصادية، والضعف الحكومي



شباب فلسطينيون يجلسون فوق النقاض ملأه محرّ في مرة جزءاً من حيوات إسرائيلي (8/ 2022 Getty)

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ما يتطلب البحث عن مقاربات جديدة للاستجابة لهذه الآزمات.

### تحدّيات تنفيذ نهج الرابطة الثلاثية

يمكن تحدّي الأول حين يطرح مفهوم الرابطة الثلاثية في «تشوّه مفاهيم مثل التنمية والسلام»، خصوصاً في السياق الفلسطيني. لا بد من معرفة أن قطاع غزة قد تعرّض إلى عملية ممنهجة تتمثل في الإفقار التنموي، أدت إلى اعتماد المجتمع الفلسطيني على المساعدات الخارجية. هذا إضافة إلى ما تثيره برامج بناء السلام من حساسية كبيرة ونقد لاذع داخل غالبية الجمهور الفلسطيني، كون الاحتلال الإسرائيلي يتبنّى نهجاً يعتمد على «إدارة الصراع»، من دون وجود أية بوادر حقيقية لبناء سلام دائم ومستدام في المنطقة. ووفقاً لمقابله مع موظف في إحدى المنظمات الإنسانية في قطاع غزة، أعرب مانحون عن اهتمامهم بالعمل ضمن الرابطة الثلاثية في مجالات مثل الصحة والتعليم، ولكن ذلك يفتقر إلى وجود تعاريف واضحة لهذه المفاهيم، فضلاً عن غياب خطط وبرامج تحدد كيفية تنفيذ هذا التوجّه وأهدافه. تعدد هذه الحقائق تنفيذ نهج يربط بين العمل الإنساني والتنمية والسلام.

يتعلق التحدي الثاني بـ «حساسية الوضع الأمني» في قطاع غزة، نظراً إلى حالة النزاع المسلح التي تعاني منها المنطقة لاستمرار إسرائيل «كسلطة احتلال» في تعريض أمن المدنيين والأعيان المدنية للخطر، بما في ذلك استمرار المقاومة المسلحة للفصائل الفلسطينية، أبرزها حركة حماس والجهاد الإسلامي، بالتزامن مع استمرار جريمة الحصار ضد السكان المدنيين. ويكافح قطاع غزة بالفعل مع التعرّض المتكرر للمقص، فمنذ عام 2003، ومع ظهور إرهابيات خطية فك الارتباط الإسرائيلي الأحادي الجانب عن قطاع غزة، وحتى عام 2022، شنت إسرائيل ما يقارب اثنتين وثلاثين حملة عسكرية ضد غزة، قتلت خلالها آلاف الأشخاص وهدمت آلاف المنازل، ودمرت البنى التحتية بشكل كبير، كما تمنع إسرائيل إعادة إعمار القطاع، تاركة عشرات الآلاف من سكّانه بدون مأوى، عرضة للانتكاسات الاجتماعية والنفسية والصحية. لذا، فإن أحد العوائق الرئيسية أمام تنفيذ نهج الرابطة الثلاثية في السياق الفلسطيني تصوّر غياب الأمن في السياق الفلسطيني، وتكرّر موجات العنف، الأمر الذي قد يسبّب إحباطاً لدى المجتمع الدولي. يؤدي هذا التحدي أيضاً إلى عزوف المانحين عن توجيه التمويل لبرامج تتعلق بالتنمية والسلام واقتصار المساعدات فقط على الجانب الإنساني الإغاثي.

ثالثاً، يتطلب التوجه نحو تنفيذ الرابطة الثلاثية قراراً سياسياً على جميع المستويات الداخلية والإقليمية والدولية. على المستوى الداخلي، يتطلب نهج الرابطة الثلاثية التعاون مع المجتمع المحلي، منظمات وأفراد، والحكومة للسماح بتنفيذ مثل هذه البرامج. على الصعيد الإقليمي، يتطلب تنفيذ هذا النهج تعاوناً كبيراً وفعالاً، لتوفير الضمانات لرفع الحصار

”  
طوال العقود المنصرمة، نشطت أطراف فاعلة عديدة من الدول والمنظمات الدولية والإقليمية، لتقديم المساعدات الخارجية للفلسطينيين

”  
وصل معدّل البطالة في غزة مع نهاية 2022 إلى حوالي 47%، بينما وصل المعدّل إلى 75% بين الشباب تحت سن 29 عاماً

ثم سيطرتها على قطاع غزة وطرد السلطة الوطنية الفلسطينية منها، ترافق مع نقص الخبرة المطلوبة في القيادة والحكم لدى الحركة. وعموماً، بعد توقيع تفاهات أوسلو، لم تحقق عمليات التدخل من الجهات الفاعلة المختلفة أية نتائج إيجابية على صعيد بناء السلام الشامل والمستدام في المنطقة، إضافة إلى اعتماد مقاربات بناء السلام الحالية على نهج إدارة النزاع وليس حله. ومع استمرار الحصار الإسرائيلي والعدوان العسكري المتكرر الساحلية هشّة جداً أمام تحديات الحياة

### فشل المجتمع الدولي

في ردّه على ممارسات الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة، كان المجتمع الدولي شديد التركيز على إنهاء المعاناة الإنسانية، من دون الضغط السياسي على إسرائيل لإنهاء الحصار أو تحدّيه. في الوقت نفسه، ي فشل نهج المجتمع الدولي في عكس سياسة الإفكار التنموي في غزة، ومعالجة جذور الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والزام إسرائيل بالتخلي عن سياسة الفصل العنصري المفروض على كل أنحاء فلسطين المحتلة. تحدّد مثل هذه الإشكالات أيضاً من وجود مقاربات شاملة لمشاريع التنمية وبناء السلام في المنطقة.